

وإذا كان للصحابة هذه المنزلة فلا عجب أن يكونوا مصابيح الدجا، ومنارات تضيء طريق السائرين إلى ربهم، والمناقب العلية من هدى الصحابة الكرام يعجز القلم عن حصرها، وسيرتهم العطرة وحياتهم المنيقة في الأخلاق والسلوك كثيرة الهدف من الالتزام بالأخلاق عند المسلم هو إرضاء الله سبحانه وتعالى، ولا ينبغي بتاتا أن يكون هدفه مدح الناس له؛ وكذلك لا ينبغي للعاقل أن يكون هدفه من وراء ذلك الكسب المادي فقط، والإسلام أيضاً يهدف إلى بناء مجتمع يقوم على التراحم والتعاون والإيثار وحب الخير للناس، من خلال علاقات حسنة مع الوالدين والأبناء، بل يتعدى ذلك إلى الحيوان والجماد، فالإسلام - بحمد الله تعالى - يهدف إلى حمل المسلم على التحلي بمكارم الأخلاق، بعد أن تبين لك هدف الأخلاق، إليك جملة من النصوص الدالة على أهمية الأخلاق، 1 - امتثال أمر الله سبحانه: كثيرة هي الآيات القرآنية التي تدعو العاقل إلى امتثال أمر الله سبحانه في الأخلاق، قال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)} [الأعراف: 199]. وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)} [الحجرات: 6]. وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)} [الحجرات: 11]. وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)} [الحجرات: 12: 11]. ولهذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (1). وهكذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمثل أمر الله تعالى في كل شأنه قولاً وعملاً، 2 - أنها طاعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (2). 3 - أنها سبب لمحبة الله تعالى: قال الله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)} [البقرة: 195]. وقال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146]. وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: 42]. وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - كأن على رؤوسنا الطير، 4 - أنها سبب لمحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن من أحبكم إليّ، أحاسنكم أخلاقاً" (2). 5 - أنها من أعظم أسباب دخول الجنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: "تقوى الله وحسن الخلق" (3). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، والنصوص في حسن الخلق كثيرة، منها: أنها دليل كمال الدين (1)، الترهيب من الأخلاق السيئة وفي المقابل جاءت النصوص من الكتاب والسنة بالترهيب من الأخلاق السيئة، وذم العاملين بها. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)} [الحجرات: 11]. وقال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5)} [المطففين: 1: 5]. وقال سبحانه: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1)} [الهمزة: 1]. وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ليس المؤمن بالطعان، وللعافض الذهبي كتاب في الكباثر"، ولأبي الشيخ الأصبهاني كتاب في ذم مساوئ الأخلاق سماه "التوبيخ والتنبيه"، ومن العلماء من أفرد بعض الأجزاء في ذم نوع من الأخلاق السيئة كالإمام ابن عساكر في "ذم قرناء السوء" وفي "ذم من لا يعمل بعلمه"، الثمرات المستفادة من دراسة الأخلاق؟ عندما ندخل في علم أو تدريس فن من العلوم، فلا يجوز أن نُعلم إنساناً شيئاً إلا إذا عرفته الثمرات المستفادة منه. أن يكون ذا خلق كامل زكي النفس، فإله سبحانه ما أنزل كتابه وتشريعاً إلا لتربيتنا وتعليمنا وإيصالنا إلى مرتبة عالية من الأخلاق. قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)} [الشمس: 9: 10]. وهذا يدل على أن الفلاح إنما هو تزكية النفس، وجميع الأعمال الصالحة من صلاة وغيرها إنما هي لزكاة النفس وتطهيرها، فالاعتراف بأن الله إله واحد هذا من الخلق الرفيع، فإذا نظرنا إلى المعاملات أيضاً، ولذلك كان غاية الدين التزكية، وتعلم العلم غايته العمل الصالح والأخلاق الرفيعة،